

شهادة اللواء الركن الدكتور ياسين سويد

كان ذلك منذ الثمانينيات من القرن المنصرم، وفي رحاب الجامعة اللبنانية، كلية الآداب، حيث التقينا، للمرة الأولى، كمدرسين لمادة التاريخ، وكأني بالقول المأثور: "الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تنافرت منها اختلف" يعبر عن علاقتنا خير تعبير.

في الواقع، لم أكن أتصور، في مطلع تعارفنا، أن شيئاً ما سيجمعنا، فهو لطيف لائق ودود مهذب، عالم يجيد التصرف مع الآخرين. في حديثه، كما في سلوكه، مساحة من الحياء الجميل، ومن "براءة الأطفال في عينيه"، كما قال شاعرنا الكبير نزار قباني، بينما أنا مبتلىّ بالعديد من الصفات المناقضة، ربما تكون حياتي العسكرية، على مدى أربعين عاماً، جعلتني هكذا، صاحب الحديث، مرتفع الصوت، عصبي النبيرة، وعاليها. إلا أن كلينا، يحمل، بين جنبيه، قلباً لا أروع ولا أحلى، لا يحمل حقداً ولا ضغينة ولا حسداً، وأظن أننا، وبسبب قلبينا، تلاقينا.

وصرت أتعرف على خصال عبد الرؤوف، يوماً بعد يوم، فأحبيته، كما احترمته، لما يدخر، في شخصه من علم ومعرفة، ومن دفء وحنان، صفات لا يفتأ ينشرها على الآخرين، فيكتسب حبهم وتقديرهم واحترامهم، ولا أتردد في القول إنه يمتلك قلوب الآخرين بصفته التي عبرت عنها وبسلوكه الذي قدمت.

وفوق كل ذلك، أؤكد، أنه عالم، فهو حصل على دكتوراه دولة في التاريخ المعاصر والحديث، وعلى دبلوم التعليم العالي والتنمية الدولية من ألمانيا، فهو، إذن، يتقن الألمانية إلى جانب اللغة الأم، وقد قدم لألمانيا الكثير من المنافع العلمية، مما جعلها تمنحه وساماً من أرفع الأوسمة، تقديراً لعلمه وعطائه.

يصعب عليّ، في هذه الحالة، أن أعدد عناوين إنتاجه الفكري المتعدد الاتجاهات؛ فهو مؤرخ وأديب ومفكر وعالم، لا تظنوني ممالئاً ولا محابياً ولا مسائراً، يكفي أن تقرأوا بعض دراساته وكتبه بالعربية والألمانية والإنكليزية، لتدركوا صدقية ما أقوله عن عبد الرؤوف سنو، هذا البستان الغني بأطيب الثمار وأكثرها نضوجاً، والنضج، فكراً وكتابة عند الباحثين والمتقنين، ميزة نادرة الوجود، ويكفي أن تراجعوا لائحة كتبه وأبحاثه وموقعه الإلكتروني abdelraoufsinno.com لتدركوا جدية ما أقول وحقيقته.

هذا بالإضافة إلى شلال من الكتب والمقالات والمحاضرات باللغات العربية والألمانية والإنكليزية. ويكفي أن نتذكر أن سنو نال، هذا العام، جائزة الشيخ زايد للكتاب، والكتاب الذي نال هذه الجائزة بسببه هو "حرب لبنان"، مما يؤكد أهمية هذا المثقف ومكانته في لبنان وسائر العالم العربي.